مظاهر عفو الله تعالى على عباده

ألقى فضيلة الشيخ عبد البارئ بن عواض الثبيتي - حفظه الله - خطبة الجمعة بعنوان: "مظاهر عفو الله تعالى على عباده"، والتي تحدَّث فيها عن عفو الله تعالى على عباده، وبيَّن مظاهر ذلك، كما ورد في كتاب الله وسنة رسولِه - صلى الله عليه وسلم -.

الخطبة الأولى

الحمد لله، الحمد لله الذي جعل الجنةَ جزاءَ الحجِّ المبرور، أحمدُه - سبحانه - وأشكرُه على كل فضلٍ وخيرٍ ميسور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو العفُوُّ الغفور، وأشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه عبَدَ ربَّه بيقينٍ فقلبُه بحبِّه مسرُور، صلَّى الله عليه وعلى آلِه وصحبِه الذين من أحبَّهم فهو منصورٌ مأجُور.

أما بعد:

فأُوصِيكم ونفسي بتقوى الله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

عفوُ الله كلمةٌ تبعثُ السَّكينةَ في النفس، والطُّمأنينةَ في القلب، والثقةَ فيما عند الله، ﴿{وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}﴾ [النساء: ٩٩].

يعفُو عن المُذنِب، ويغفِرُ للمُسيء، ويتجاوزُ عن الخطَّائين، ﴿{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}﴾ [الشورى: ٢٥].

عفوُه - سبحانه - الذي وسِع الورَى، يُنبِئُ عن السَّتر، ويشملُ محوَ السيئات. عظيمُ عفو الله وحُسن تجاوُزه من كُنوز العرش.

جاء في الحديث: نزل جبريلُ - عليه السلام - إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحسنِ صُورةٍ، لم ينزِل في مثلِها قطُّ ضاحِكًا مُستبشِرًا، فقال: السلامُ عليك يا محمد. قال: «وعليك السلام يا جبريل»، قال: إن الله بعثَني إليك بهديَّة كُنوز العرش، أكرمَك الله بهنَّ. قال: «وما تلك الهديَّةُ يا جبريل؟»، فقال جبريل: قُل: يا من أظهرَ الجميل، وستَرَ القبيحَ .. يا من لا يُؤاخِذُ بالجَريرة، ولا يهتِكُ السِّتر، يا عظيمَ العفو .. يا حسنَ التجاوُز .. يا واسِع المغفرة .. يا باسِط اليدَين بالرحمة .. يا صاحِبَ كل نجوَى .. ومُنتهى كل شكوَى .. يا كريم الصفح .. يا عظيمَ المنِّ .. يا مُبتدِئ النِّعَم قبل استِحقاقِها.

من جميل عفوِ الله - عباد الله -: أنه يحبُّ التوابين، ويفرَحُ بأوبَتِهم إليه؛ فماذا يُريدُ العاصِي من ربِّه بعد ذلك؟!

قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «للهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبدِه المؤمن من رجُلٍ في أرضٍ دوّيَّةٍ مهلِكة، معه راحلَتُه عليها طعامُه وشرابُه، فنامَ فاستيقظَ وقد ذهبَت، فطلبَها حتى أدركَه العطش، ثم قال: أرجعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيه فأنامُ حتى أموت، فوضعَ رأسَه على ساعِدِه ليموت، فاستيقظَ وعنده راحِلتُه وعليها زادُه وطعامُه وشرابُه، فالله أشدُّ فرحًا بتوبة العبدِ المؤمن من هذا براحلتِه وزادِه».

من سعَة عفوِ الله - عباد الله -: مُضاعفةُ الحسنات، والثوابُ على الهمِّ بها دون السيئات؛ فعن ابن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروِي عن ربِّه - عزوجل - قال: «إن الله كتبَ الحسنات والسيئات، ثم بيَّن ذلك؛ فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعمَلها كتبَها الله له عندَه حسنةً كاملةً، فإن هو همَّ بها فعمِلَها كتبَها الله له عنده عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، ومن همَّ بسيئةٍ فلم يعمَلها كتبَها الله له عنده حسنةً كاملةً، فإن هو همَّ بها فعمِلَها كتبَها الله له سيئةً واحدةً».

من جميل عفوِ الله: أن يُبدِّلُ السيئات حسنات، فإذا أقلَع العبدُ عن الحرام، وباشَرَ أسبابَ التوبة والطاعة؛ ازدادَ إيمانًا مع إيمانِه؛ فتقوَى شواهِدُ الإيمان في قلبِه، فيُكرِمُه الله بجميلِ عفوِه، قال الله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٥].

فما أوسعَ وأجملَ عفوه - سبحانه -، المرءُ يعصِي، ويُذنِب، ويسرِق، ومع ذلك يُبدِّل الله السيئات حسنات .. أيُّ كرمٍ هذا؟! وأيُّ فضلٍ أعظمُ من هذا الفضل؟! ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

من سعَة عفوِ الله: أن رحمتَه تسبِقُ غضبَه، وعفوَه يسبِقُ عقابَه. أخرجه البخاريُّ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -، قال: سمعتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن الله لما قضَى الخلقَ، كتبَ عندَه فوقَ عرشِه: إن رحمتي سبقَت غضبِي».

وفي حديث أبي سعيدٍ الخُدري - وذكرَ من يشفعُ بإذن الله في إخراجِ أقوامٍ من النار -، فيقول الله - عز وجل -: «شفَعَت الملائكة، وشفَعَ النبيُّون، وشفَعَ المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمين. فيقبِضُ قبضةً من النار، فيُخرِجُ منها قومًا لم يعمَلوا خيرًا قطُّ، قد عادُوا حممًا، فيُلقِيهم في نهرٍ في أفواهِ الجنَّة يُقال له: نهرُ الحياة، فيخرُجون كما تخرُج الحِبَّة في حَميل السَّيل».

من سعَة عفوِ الله: إمهالُ عبادِه قبل مُؤاخَذَتهم؛ فهو - سبحانه - يُقابِلُ جهلَ العباد بالحِلمِ، والذنوبَ بالمغفرة، والمُجاهَرةَ بالسَّتر، والجُحودَ بالإنعام، كما في الحديث: «لا أحدَ أصبرُ على أذًى يسمعُه من الله - عز وجل -؛ إنه يُشرَكُ به، ويُجعلُ له الولد، ثم هو يُعافِيهم ويرزُقُهم».

من سعَة عفوِ الله: تنوُّع مُكفِّرات الذنوب، ومن مُكفِّرات الذنوب: إسباغُ الوضوء، وذِكرُ الله عقِبَ الفرائِض، وكثرةُ الخُطا إلى المساجِد، وصيامُ رمضان، وصيامُ يوم عرفة، ويوم عاشُوراء، وقول: سبحان الله وبحمده مائة مرَّة، ودُعاء كفَّارة المجلِس، والعُمرةُ والحجُّ، وأداءُ الصلاة المفروضة، والصدقةُ، والصبرُ، وحضورُ مجالِس الذِّكر، والصلاةُ على النبي - صلى الله عليه وسلم -. كلُّها من مُكفِّرات الذنوب.

من سعَة عفوِ الله: أن الشرَّ يخُصُّ صاحبَه، والخيرَ يعمُّ حاضِرَه، قال الله تعالى: ﴿{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ}﴾ [العنكبوت: ٤٠].

ومن كرمِه - سبحانه -: أن الرحمةَ تعمُّ كالمطر، وتشملُ جليسَ الأخيار، وإن لم يكُن منهم، «هم القومُ لا يشقَى بهم جليسُهم».

من سعَة عفوِ الله: مُناداةُ الكافرين إلى التوبة، ﴿{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ}﴾ [الأنفال: ٣٨]، فإذا كان يُغفَرُ للكفار ما قد سلَف؛ فكيف بعُصاة المؤمنين إذا تابُوا؟!

وعفوُ الله - عباد الله - جلاءٌ للهُموم والغُموم؛ ففي غزوةِ أُحُد أصابَ الصحابةَ غمٌّ وحُزنٌ بعد مُخالفة الرُّماةِ لأمرِ النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال تعالى: ﴿{وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ}﴾ [آل عمران: ١٥٢]، عفا عنكم لكي لا تحزَنوا، ولتكون حلاوةُ عفوِه تُزيلُ عنكم ما فاتَكم من غمِّ القتل والجرح.

ومن هدي النبي - صلى الله عليه وسلم -: الحِرصُ على طلبِ العفوِ والعافية، وكان يسألُ الله حين يُصبِحُ وحين يُمسِي: «اللهم إني أسألُك العفوَ والعافيةَ في ديني ودُنياي، وأهلي ومالي».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفرُ الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالِحات، أحمدُه - سبحانه - وأشكرُه على جزيلِ العطيَّات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهُ البريَّات، وأشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه هو قدوتُنا وأُسوتُنا في المُدلهِمَّات، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبِه أُولِي الفضل والمكرُمات.

أما بعد:

فأُوصِيكم ونفسي بتقوى الله.

وطلبُ العفوِ - عباد الله - في المواسِم الفاضِلة، ومواطِن الإجابة أولَى وأعظم، ونحن اليوم في موسِمٍ عظيم، ويومٍ مشهود؛ فعن عائشة - رضي الله عنها -، قالت: يا رسولَ الله! أرأيتَ إن علِمتُ أيُّ ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقولُ فيها؟ قال: «قُولي: اللهم إنك عفوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي».

وإذا أراد العبدُ أن ينالَ العفوَ فعليه بالصدقِ مع الله، مع الذين صدقَت نيَّاتُهم، واستقامَت قلوبُهم وأعمالُهم، قال الله تعالى: ﴿{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}﴾ [التوبة: ١١٩].

ومن داومَ على طاعة الله فازَ بعفوِ الله؛ فعن أبي طويلٍ شَطبِ الممدود - رضي الله عنه -، أنه أتى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فقال: أرأيتَ رجُلاً عمِلَ الذنوبَ كلَّها، فلم يترُك منها شيئًا، وهو في ذلك لم يترُك حاجةً ولا داجةً إلا أتاها؛ فهل له من توبة؟ قال: «فهل أسلمتَ؟»... قال: أما أنا فأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسولُ الله،...

قال: «نعم، تفعلُ الخيرات، وتترُك السيئات، فيجعلهنَّ الله لك خيراتٍ كلهنَّ»، قال: وغدَراتي وفجَراتي؟! قال: «نعم»... قال: الله أكبر. فما زالَ يُكبِّرُ حتى توارى.

ومن عفَا عن الناس وأحسنَ إليهم نالَ عفوَ الله.

ومع هذا الفضل العظيم والعفو الجَزيل - عباد الله - يحذرُ المرءُ من الاغترار بعفوِ الله وعظيم كرمِه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

سُئِل الفُضيل بن عياض: يا فُضيل! لو وقفتَ بين يدَي مولاك - سبحانه -،وسألَك: عبدي! ما غرَّك بي؟ ماذا كنتَ تقول؟ قال: "أقولُ: غرَّتني سُتورُك المُرخاة"؛ أي: سترُك عليَّ غرَّني.

وينبغي - عباد الله - في هذا الأيام إظهارُ شعائِر الإسلام، ومنها: التكبيرُ المُقيَّدُ عقِبَ الصلوات الفرائِض، الذي يبدأُ من فجرِ يوم عرفة إلى غُروبِ شمسِ آخر أيام التشريق.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

ألا وصلُّوا - عباد الله - على رسول الهُدى؛ فقد أمرَكم الله بذلك في كتابه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ على محمدٍ وأزواجِه وذريَّته، كما صلَّيتَ على آل إبراهيم، وبارِك على محمدٍ وأزواجِه وذريَّته، كما باركتَ على آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم عن خلفائِه الأربعة الراشِدين: أبي بكرٍ، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن الآلِ والصَّحبِ الكِرام، وعنَّا معهُم بعفوِك وكرمِك وإحسانِك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمُسلمين، اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمُسلمين، اللهم أعِزَّ الإسلامَ والمُسلمين، وأذِلَّ الكفرَ والكافِرين، ودمِّر اللهم أعداءَك أعداءَ الدين، واجعل اللهم هذا البلدَ آمنًا مُطمئنًّا وسائر بلاد المسلمين.

اللهم انصُر دينَك وكتابَك، وسنَّةَ نبيِّك وعبادَك المؤمنين.

اللهم ألِّف بين قلوبِ المُسلمين، ووحِّد صفوفَهم، واجمَع كلمتَهم على الحقِّ يا رب العالمين.

اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسُوءٍ فأشغِله بنفسِه، واجعل تدبيرَه تدميرَه يا سميعَ الدعاء، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسُوءٍ فأشغِله بنفسِه، واجعل تدبيرَه تدميرَه يا سميعَ الدعاء، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسُوءٍ فأشغِله بنفسِه، واجعل تدبيرَه تدميرَه يا سميعَ الدعاء.

اللهم إنك عفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنَّا، اللهم إنك عفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنَّا، اللهم إنك عفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعفُ عنَّا.

اللهم إنا نسألُك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذُ بك من الناروما قرَّب إليها من قولٍ وعمل.

اللهم أصلِح لنا دينَنا الذي هو عصمةُ أمرِنا، وأصلِح لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلِح لنا آخرتَنا التي فيها معادُنا، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كل خيرٍ، والموتَ راحةً لنا من كل شرٍّ يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألُك فواتِح الخيروخواتِمَه وجوامِعَه، وأولَه وآخره، ونسألُك الدرجاتِ العُلى من الجنةِ يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألُك الهُدى والتُّقَى والعفاف والغِنَى، اللهم ابسُط علينا من بركاتك ورحمتِك وفضلِك ورِزقِك، اللهم ابسُط علينا من بركاتك ورحمتِك وفضلِك ورِزقِك.

اللهم أعِنَّا ولا تُعِن علينا، وانصُرنا ولا تنصُر علينا، وامكُر لنا ولا تمكُر علينا، واهدِنا ويسِّر الهُدى لنا، وانصُرنا على من بغَى علينا.

اللهم اجعلنا لك ذاكِرين، لك شاكِرين، لك مُخبتين، لك أوَّاهين مُنيبين.

اللهم تقبَّل توبتَنا، واغسِل حوبتَنا، وثبِّت حُجَّتنا، وسدِّد ألسِنَتنا، واسلُل سخيمةَ قلوبِنا.

اللهم إنا نسألُك الثباتَ في الأمر، والعزيمةَ على الرُّشد، والغنيمةَ من كل برٍّ، والفوزَ بالجنة، والنجاةَ من النار.

اللهم وفِّق إمامنا لما تُحبُّ وترضى، اللهم وفِّقه لهُداك، واجعل عملَه في رِضاك يا رب العالمين، ووفِّق نائبَه لما تحبُّ وترضى يا أرحم الراحمين.

اللهم فرِّج همومَنا، واغفِر لموتانا، واشفِ مرضانا، وفُكَّ أسرانا، وتولَّ أمرَنا، واغفِر لنا يا أرحم الراحمين.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فاذكروا اللهَ يذكُركم، واشكُروه على نعمِه يزِدكم، ولذِكرُالله أكبر، واللهُ يعلمُ ما تصنَعون.